

الملتقى الوطني الموسوم بـ: "الخطاب التعليمي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ضوء اللسانيات المعاصرة"، المنعقد يومي: 17-18 أبريل 2024م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المحور الثاني: الخطاب التعليمي عند جمعية العلماء المسلمين واللسانيات التعليمية

عنوان المداخلة: العملية التعليمية وعناصرها في الخطاب التعليمي للبشير الإبراهيمي في "عيون البصائر"

**The educational process and its elements in the educational
discours of Al-Bashir Al- Ibrahymi in " Ouyoun El-Basair"**

د- حليلة حجاج

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

hadjadjhalima@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الخطاب التعليمية عند رجل من رجالات الإصلاح في الجزائر، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أحد الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الذي سخر قلمه وفكره المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية وكذا خبرته الطويلة في مجال التربية والتعليم، لتغيير الواقع الجزائري الذي عرف أحلك فتراته التاريخية، وهو تحت أنياب الاستعمار الفرنسي الذي حاول بشق الطرق طمس الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري عن طريق إغراقه في الجهل والبدع والخرافات، ولذلك كان لزاما على بعض الرجال الشرفاء النهوض لإنقاذ الجزائر مما يخطط لها أعداء الدين والوطن.

كما تهدف الدراسة أيضا إلى التعريف بجهود الشيخ البشير الإبراهيمي في إصلاح التعليم الجزائري من خلال الكشف عن نظريته الاستشراعية للعملية التعليمية وضبط عناصرها التي حددتها اللسانيات التعليمية فيما بعد، وتعد مقالات الإبراهيمي التي نشرت في جريدة "البصائر" والمجموعة في المجلد الثالث من مجموعة أعماله،

والموسومة بـ "عيون البصائر" من أجود ما كتب أعضاء جمعية العلماء المسلمين، وهي أعمال تستحق الاهتمام والدراسة، ومنه تتكشف إشكالية البحث في: إلى أي مدى نجح الإبراهيمي في تحديد عناصر العملية التعليمية المتمثلة: في المعلم، والمتعلم، والمادة العلمية، وذلك من خلال خطابه الإصلاحية في "عيون البصائر".

ومن النتائج الأولية لهذه الدراسة نجد: امتلاك البشير الإبراهيمي كل المؤهلات اللازمة لإنجاح التعليم في الجزائر بفضل اتساع ثقافته الدينية وطول تجربته التعليمية، وقدرته أيضا على ضبط عناصر العملية التعليمية تنظيرا وتطبيقا والإحاطة بكل تفاصيلها والتي حددتها التعليم الحديثة دون أن ينسى خصوصية المجتمع الجزائري العربي المسلم، ما يدل على صحة مشروع الإصلاح الذي رسمته جمعية العلماء المسلمين.

الكلمات المفتاحية: البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، العملية التعليمية، المعلم، المتعلم، المادة العلمية.

Abstract: This study aims to shed light on the educational discourse of Sheikh Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi, one of the founding members of the Association of Muslim Scholars, who harnessed his pen and thought derived from the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet, as well as his long experience in the field of education, to change the Algerian reality while it was under the fangs of French colonialism, which tried in various ways. Obliterating the Arab-Islamic identity of the Algerian people by drowning them in ignorance, heresies, and superstitions. Therefore, it was necessary for some honorable men to rise up to save Algeria from what the enemies of religion and the homeland were planning. The study also aims to introduce Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi's efforts to reform Algerian education by revealing his forward-looking view of the educational process and controlling its elements that were later identified by educational linguistics. Al-Ibrahimi's articles published in Al-Basa'ir newspaper and collected in the third volume of his collection of works, tagged "Ouyoun **El-Basair**" is one of the finest works written by members of the Association of Muslim Scholars, and it is a work that deserves attention and study, and from it the problem of research is revealed in: How did Al-Ibrahimi succeed in defining the elements of the educational process represented by: the teacher, the learner, and

the scientific subject that Al-Ibrahimi identified through his reformist speeches in “Ouyoun El-Bassair’s article”?

Among the preliminary results of this study we find: Bashir Ibrahimi possessed all the necessary qualifications for the success of education in Algeria thanks to the breadth of his religious culture and the length of his educational experience, and also the ability to control the elements of the educational process in theory and application and to be aware of all its details that were determined by modern education without forgetting the specificity of Algerian society, which indicates On the validity of the reform project drawn up by the Association of Muslim Scholars.

Keywords: Al-Bashir Al-Ibrahimi; Ouyoun El-Bassair’s article; The educational process, the teacher, the learner, the scientific subject.

مقدمة:

تمثل التعليمية أهم مجالات اللسانيات التطبيقية التي تهتم باللغة كونها ممارسة بيداغوجية هدفها جعل المتعلم مؤهلا لاكتساب المهارات اللغوية، وكذا التوصل إلى الكشف عن العوائق التي تواجه المتعلم أثناء مشاركته في العملية، ويعد هذا العلم علما حديثا في الدراسات الغربية يحاول تقديم حلول مناسبة لمشاكل التعليم، إلا أنّ هذا العلم قد أغفل الجهود العربية في مجال التعليمية بدءا بآبن خلدون ووصولاً إلى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

و الإبراهيمي مفكر ومنظر في مجال التربية والتعليم، ساعده تكوينه الديني وتجربته التعليمية الطويلة وكذا ذكاؤه الوقاد على أن يصبح علما من أعلام الإصلاح في الجزائر في فترة هي الأصعب في تاريخها، وهي فترة الاستعمار الفرنسي الذي أيقظ الجزائريين على واقع استعماري أسقطهم في مستنقع الجهل والأمية والتخلف، ما دفع بالبشير الإبراهيمي إلى محاولة تغيير هذا الواقع مركزا على جانب التعليم الذي من شأنه أن يكسر جمود العقل، وأغلال التخلف من خلال خطابه المنشورة في الجرائد التابعة لجمعية العلماء المسلمين، أهمها جريدة "البصائر" التي حوت مجموعة من المقالات جعل منها بوابة واسعة كشفت الغطاء عن شخصية عبقرية أسست لعملية تعليمية ناجحة، عن طريق ضبط حدودها وتحديد عناصرها.

وعليه سنحاول في هذه الورقة البحثية التركيز على الجهود الإصلاحية للبشير الإبراهيمي والوقوف على مدى إنجاح العملية التعليمية في مدارس جمعية العلماء المسلمين والتي أبانت عنها مقالاته المنشورة في جريدة "البصائر" والمجموعة في المجلد الثالث والموسوم "عيون البصائر"، لنطرح بذلك الإشكالية التالية: إلى أي مدى نجح البشير الإبراهيمي في تحديد عناصر العملية التعليمية المتمثلة: في المعلم، والمتعلم، والمادة العلمية، وذلك من خلال خطابه الإصلاحية في عيون البصائر، ويمكن أن ندرج تحت هذه الإشكالية بعض التساؤلات الفرعية: إلى أي مدى ظهرت التعليمية في خطابات البشير الإبراهيمي في مقالات "عيون البصائر"، هل وفق الإبراهيمي في تحديد العناصر الأساسية للعملية التعليمية التي حددها اللسانيات التطبيقية الحديثة.

وللإجابة على هذه الإشكالية، فرضت الدراسة الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي للوقوف على نظرة الإبراهيمي للعملية التعليمية، وتحديد عناصرها من خلال خطابه التعليمية في كتابه "عيون البصائر".

1- ترجمة لمحمد البشير الإبراهيمي، والتعريف بمقالات عيون البصائر:

أ- المولد والنشأة:

ولد البشير الإبراهيمي، يوم الخميس، الثالث عشر من شوال عام 1306هـ الموافق لـ 14 جوان 1989م، بقرية وأولاد براهم -، دائرة سطيف، واسمه الكامل هو مُحَمَّد بن البشير بن عمر الإبراهيمي، ويعود نسبه إلى إدريس بن عبد الله الجد الأول الأشراف الأدارسة⁽¹⁾، نشأ في بيت توارث أهله العلم أبًا عن جد، وقد بدأ الإبراهيمي حفظ القرآن الكريم في سن الثالثة من عمره حسب تقاليد العائلة، بإشراف عمّه الأصغر الشيخ مُحَمَّد المكي الإبراهيمي إلى أن بلغ السابعة من عمره، فلم يكد الإبراهيمي يبلغ سنّ التاسعة حتى ختم كتاب الله مع فهم مفرداته وغريبه، بالإضافة إلى ألفية بن مالك وغير ذلك من شعر ونثر، مات عمه وله من العمر أربعة عشرة سنة، ولقد ختم عليه دراسة بعض الكتب وهو على فراش المرض الذي مات فيه، وأجازه الإجازة المعروفة، وأمره بأن يخلفه في التدريس وقد استمر الإبراهيمي في ذلك حتى بلغ العشرين.

بدأت رحلة الإبراهيمي الأولى بمغادرته الجزائر متخفياً سنة 1911م للحاق بوالده، وقد مرّ في طريقه إلى المدينة المنورة بمصر وأقام بالقاهرة ثلاثة أشهر، ثم رحل إلى المدينة المنورة حيث تفرغ للدراسة، وقد ساعده ذكاؤه الحاد وذاكرته القوية على الاستيعاب الجيد لكل ما كان يقرأ، بالإضافة إلى إلقاء عدة دروس تطوعاً، وهناك

¹ ينظر: سعيد بورنان، رواد الكفاح والإصلاحي 1900-1954، دار الأمل، الجزائر، ط3، 1936-2015هـ، ص 143.

بالمدينة المنورة تعرف البشير الإبراهيمي إلى الإمام عبد الحميد بن باديس، الذي قَدِمَ إليها حاجًا سنة 1913م، وهناك كانت النواة الأولى لفكرة العمل الدعوي بالجزائر، من أجل النهوض بها من الكبوة التي أوقعها بها الاستعمار الفرنسي.

وفي عام 1917م، غادر البشير الإبراهيمي المدينة المنورة مع آلاف من سكانها إلى دمشق لظروف سياسية، وإثر وصوله دعت الحكومة لتدريس الآداب العربية وتاريخ اللغة وأطوارها وفلسفتها الأولى، فدعته الحكومة للتدريس بالمدرسة السلطانية، بالإضافة إلى إلقاء دروس الوعظ والإرشاد في المسجد الأموي خلا شهر رمضان، وقد تخرج على يديه جيل من المثقفين كان لهم الأثر البالغ في النهضة العربية الحديثة⁽²⁾

ب- البشير الإبراهيمي ونضاله في جمعية العلماء المسلمين:

عاد البشير الإبراهيمي إلى الجزائر سنة 1930م، وكانت له لقاءات كثيرة مع الشيخ عبد الحميد بن باديس والتي اختمرت منذ لقاؤهما في الحجاز سنة 1913م، وقد ركزت هذه الاجتماعات على الوضع في الجزائر والبحث عن السبل الكفيلة بمعالجة هذا الوضع، لتحل سنة 1930م ويعلن الاستعمار الفرنسي عن التحضير للاحتفالات المئوية على احتلال وقد رصد لهذه الاحتفالات والاستعراضات ملايين الفرنكات الفرنسية بهدف فتح جراح الجزائريين، وإشعارهم بالضعف والمهانة، خاصة بعد الإعلان عن دخول المسيحية إلى شمال إفريقيا من جديد³.

وعند تأسيس جمعية العلماء المسلمين، بدأت في شكلها القانوني في أواسط 1931م، وفي يوم السابع ماي عقدت الهيئة الإدارية للجمعية جلسة لها برئاسة ابن باديس، لتخرج بمجموعة من النقاط التي ترسم مبادئ وأهداف الجمعية، وهكذا ظهرت جمعية العلماء المسلمين في وسط من الحذر من طرف الإدارة الاستعمارية رغم ترخيصها لها بالعمل، لتبدأ سعيها بمحاربة الخرافات والتدجيل والمتاجرة باسم الدين، وذلك بإنشاء المدارس وتعليم أبناء الشعب والدفاع عن أوقاف الأمة الجزائرية، ومن أجل توسيع نشاطها وزعت الجمعية كبار علمائها على المقاطعات الكبرى في البلاد، واختص الإبراهيمي بالإشراف على منطقة الغرب الجزائري، فاتخذ مدينة تلمسان مركزًا لنشاطه، وقد أقلق نشاطه السلطات الفرنسية فقامت بنفيه إلى "آفلو"، وبعد مرور أسبوع من نفيه أعلن خبر

² ينظر: المرجع السابق، ص 147/146/ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1400هـ-1980م، ص 14/13.

³ ينظر: عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركات الجزائرية 1331-1945، دار البعث قسنطينة، ط1، 1981م، ص91

وفاة رائد الإصلاح الشيخ ابن باديس، بتاريخ 16 أبريل 1940م، وتم انتخاب البشير الإبراهيمي غيابيا لرئاسة الجمعية، فظل يُصَرَّف أعمالها بالمراسلات مدة ثلاث سنوات، إلى أن أُطلق سراحه سنة 1943م، ولكنه ما لبث أن أُعتقل من جديد إثر مجازر 8 ماي 1945م ولم يُطلق سراحه إلا بعد العفو العام سنة 1946م، وقد وُذِّق خلال هذا الاعتقال تعذيباً أورثه أمراضاً لازمته فيما تبقى من حياته⁽⁴⁾.

وبعد خروجه من السجن سنة 1946م، سافر الإبراهيمي مرة أخرى إلى المشرق العربي سعياً وراء الحكومات العربية، من أجل قبول بعثات من طلبة الجزائر لمواصلة دراستهم بجامعاتها، وكذا حثهم على تقديم مساعدات مادية لجمعية العلماء المسلمين، فبدأت رحلته الثانية بمصر وامتدت إلى العراق وسوريا والكويت وغيرها، واتصل الإبراهيمي بشخصيات كثيرة، ونشط مؤتمرات وألقى محاضرات ووثق الصلة مع الجمعيات العاملة للإسلام، كما كان للإبراهيمي دور كبير في الثورة الجزائرية، فقد عمل لسنوات طوال على تهيئة الشعب فكرياً وروحياً وثقافياً قبل انطلاقها بسنوات، كما أنه ساندتها ودعا إلى الالتفات حولها، رغم تقدمه في السن.

ج- العودة والوفاة:

عاد الشيخ البشير الإبراهيمي إلى الجزائر في أواخر عام 1962م، بعد غياب دام عشر سنوات، وقد أمّ أول صلاة في الجزائر المستقلة عند افتتاح مسجد "كتشاوة" الذي حوله الاستعمار إلى كاتدرائية طوال قرن ونصف، وقد عاش ثلاث سنوات في ظل الجزائر المستقلة، أمضاها في عزلة فرضتها عليه سنّه وضعف صحته، إضافة إلى عدم رضاه عن حالة الصراع حول السلطة التي يعيشها النظام آنذاك، وآلمه ما يعيشه شعبه من تمزّق وتنازع⁽⁵⁾.

وبعد حياة حافلة بالنشاط وبجلائل الأعمال والتضحيات، توفي الشيخ مُجَّد البشير الإبراهيمي يوم 20 ماي 1965م، وقد شُيعت جنازته في موكب شعبي عظيم، وقد ترك الشيخ البشير الإبراهيمي آثاراً أدبية وعلمية مختلفة، أهمها: مجموعة مقالات نشرها في مختلف الصحف الجزائرية والعربية وقد طُبعت في خمسة أجزاء {آثار مُجَّد البشير الإبراهيمي}، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الكتب والرسائل والروايات التي لم يُنشر أغلبها.

د- عيون البصائر:

⁴ ينظر: سعيد بورنان، رواد الكفاح السياسي والإصلاحي، 1900-1954م، ص 151/148. أبو القاسم سعد الله، تاريخ

الجزائر الثقافي، الجزء الثامن، 1830-1954م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1998م، ص 81/80.

⁵ ينظر: سعيد بورنان، رواد الكفاح السياسي والإصلاحي، 1900-1954م، ص 160.

وتمثل "عيون البصائر" مجموعة المقالات التي كتبها الشيخ مُجَّد البشير الإبراهيمي كافتتاحيات في جريدة البصائر في مرحلتها الثانية من 1947م إلى 1956م، وقد جمعها وقدم لها نجله أحمد طالب الإبراهيمي في مجلد واحد، يضم 129 مقالة، وهو المجلد الثالث من بين خمسة مجلدات تحوي مقالات البشير الإبراهيمي كلها، نُشرت بعنوان آثار الإمام مُجَّد البشير الإبراهيمي في حياة الشيخ البشير الإبراهيمي، سنة 1963م بدار المعارف بالقاهرة، ولم تُنشر في الجزائر إلا سنة 1971م ثم 1981م.

2- التعليم قبل وبعد جمعية العلماء المسلمين:

أفاق الجزائريون على واقع استعماريّ وغزو حضاريّ مخيف، طبقه الاستعمار الفرنسي على الأمة الجزائرية، فمارس سطوته الفكرية واحتكر كلّ الميادين السياسية والفكرية والأدبية والدينية، بممارسة كل الوسائل غير المشروعة من كبت للحريات، وتطويق كلّ الميادين بيد من حديد، بالإضافة إلى نشر الدسائس والفرقة بين الأطراف الجزائرية، وتصنّع الأحداث وتلفيق التهم، وعن ذلك يقول الإبراهيمي في "عيون البصائر": "جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن، كما تجيء الأمراض الوافدة، تحمل الموت وأسباب الموت، فوجد هذه المقومات راسخة الأصول، نامية الفروع... ولكنهم عملوا في الباطن على محوها بالتدرّج، وتم لهم على طول الزمن بالقوة وبطرق التضليل والتغفيل"⁶.

لم تعد الجزائر في ظل هذا الاستعمار وسياسته العاشمة سيّدة نفسها، بل تم تطويقها من كلّ جانب، ورأى الاستعمار أنّ أهمّ جانب يمكن العمل عليه والنجاح به لتحطيم الأمة الجزائرية وإبقائها خاضعة خانعة له، هو مجال التعليم، فقد عانى التعليم في الجزائر من أوضاع جدّ صعبة تمثلت في محاربة الاستعمار للهوية الوطنية، وفرض هوية أجنبية عن طريق سياسة التجهيل وإغراق الشعب الجزائريّ في مستنقع الأمية، ونشر الخرافات والبدع، بتعطيل كل الجهود التعليمية وعرقلة مسار التنوير، عن طريق سياسة غلق المدارس، أو تعطيل رخص فتحها، وسجن المعلمين بأنفه التهم، وتعيين أشخاص عملاء الاستعمار للإشراف على التعليم، بالإضافة إلى محاربة اللغة العربية فأبعدوها عن الإدارات والعمل الرسميّ ماعدا محاكم الأحوال الشخصية⁷. وأمّا محاربة الدين الإسلامي فخطط الاستعمار بدت واضحة للعيان عن طريق تدمير وإغلاق الزوايا والمراكز الثقافية الإسلامية وتحويلها إلى مراكز فرنسية، كما ظهرت حربهم ضد الإسلام في جعل التعليم مقتصرًا على حفظ القرآن الكريم دون التعرض لتفسير

⁶ - مُجَّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام مُجَّد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي تونس، ط3، 2015م، مقال "من الحقائق العريانة"، العدد1 من جريدة البصائر، 25 جويلية 1947م، ج3، ص46-47.

⁷ - مُجَّد رزيق، الجرائم الفرنسية، دار قرطبة للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 1435هـ-2014م، ص480-500

الآيات القرآنية، خاصة منها التي تحض على الجهاد، وعن ذلك يقول الإبراهيمي: "وخلاصة رأي جمعية العلماء في التعليم العربي، أنه أصبح ضرورات من ضرورات الأمة، وأنّ القرارات المتعلقة به كلّها ترمي إلى التضييق عليه وقتله، وأنّ تنفيذها موكول إلى عمّال يتولونه بالعرض والهوى، وقد كثرت هذه القرارات وملحقاتها وشروحها"⁸.

ولاح نور جمعية العلماء المسلمين وسط ظلمة الجهل والبدع والأمية سنة 1931م، ليبدأ نشاطها الإصلاحية الذي يمس كل المجالات خاصة التعليم، فبدأت بإنشاء المدارس ونشرها في جميع أرجاء الوطن، وعملت من خلالها على إحياء الثقافة العربية الإسلامية للبنات وللبنين على حد سواء في سن صغيرة، وعن هذه المدارس يقول البشير الإبراهيمي: "نجوم متألقة في ليل الجزائر الحالك، منها الكبيرة ومنها الصغيرة، ولكل واحدة حظّها في اللألاء والإشراق، وقسطها من الإضاءة بجانب من جوانب هذا الوطن الذي طال في الجهل ليله، وأقام بالأمية وويله"⁹.

عملت الجمعية على توسيع نشاط المساجد فلم تجعلها مقتصرة على الصلاة وحسب، بل كانت أماكن لنشر الوعي والوعظ والإرشاد، وتدريب الطلاب على شاكلة الجوامع الإسلامية الكبرى، حيث أسست الجمعية أكثر من تسعين مسجدا في فترة وجيزة، وكانت هذه المساجد حرة غير خاضعة لسلطة الاحتلال الفرنسي، تم تمويلها من معونات الأمة الجزائرية، وأما النوادي فقد خصصت للشباب للاعتناء بهم وحفظهم من مختلف الآفات الاجتماعية، فكانت هذه النوادي عبر القطر الوطني تقوم بتوعية الشباب وتنظيمه في شكل منظمات وجمعيات كالكشفافة الإسلامية، والجمعيات الثقافية والرياضية والفنية، ولقد مسّ نشاط هذه النوادي الجالية الجزائرية لإنقاذ شباب الجالية الجزائرية من الانحلال وسط المجتمع الفرنسي¹⁰.

3- الجهود التعليمية للبشير الإبراهيمي:

يعدّ البشير الإبراهيمي علما من أعلام الإصلاح في الجزائر، وهو أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين، ورأى أنّ أولى المجالات بالإصلاح هو الجانب التعليمي فسعى إلى إصلاح المجتمع عن طريقه، ولذلك جاءت معظم مقالاته في "عيون البصائر" خادمة له، وقد وقف في كتاباته في "عيون البصائر" على بيان دور العلم والتعليم في حياة الأمم، فكان يرى أنّ الثورة ضد الاستعمار ليست سلاحا فقط، بل هي لسان يربي ويعلم، فالعلم عنده نوع من أنواع الجهاد تشكل المدرسة ميدانه، وعن ذلك يقول الإبراهيمي: "الحياة بالعلم، والمدرسة منبع العلم،

⁸ - الإبراهيمي، الآثار، مقال "من الحقائق العريانة"، ج3، ص50.

⁹ - المصدر السابق، مقال "مدارس جمعية العلماء"، العدد93 من جريدة البصائر، 31 أكتوبر 1949، ج3، ص258.

¹⁰ - ينظر:

ومشروع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة، فمن طلب هذا النوع من الحياة من غير طريق العلم زل، ومن التمس الهداية إليه من غيرها ظل¹¹، ثم يواصل الإبراهيمي مسار إصلاحه بالحديث عن جرائم الاستعمار في حق التعليم ومنتسبيه في الجزائر، فدعا إلى منح أبناء الجزائر حق التعليم كغيرهم من أبناء فرنسا، فقال: "يحرم الاستعمار الفرنسي التعليم على مسلمي الجزائر، ويفرضه على أبنائه في وطنه، فاعجب لشيء واحد يحرم في وطن ويُفرض في وطن، ومن عرف الاستعمار معرفتنا به لم يعجب ولم يندهش، خصوصا في وطن كالجزائر"¹².

وقد سعى الإبراهيمي جاهدا إلى تعميم التعليم العربي، والشروع في تعليم الصغار والكبار، وتجنيد المتخرجين من جامع الزيتونة في تعليم أبناء الشعب، بالإضافة إلى إنشاء المدارس والمعاهد ومطالبة الاستعمار برفع يدها عن المساجد والمدارس والابتعاد عن التعليم العربي، وعن ذلك يقول: "إن تعطيل المدارس العربية بالأوامر الإدارية يعدّ عقوبة للأطفال الصغار الذين لم يرتكبوا ذنبا... إن المدارس التي شيدتها الأمة لأبنائها بأموالها ولم تزر خزانتك فيها درهما ولا دينارا"¹³.

كما ركز الإبراهيمي على المعلمين، فأشاد بهم وبدورهم في حرية الأمة الجزائرية، فجعل منهم مجاهدين في ساحة التنوير والتوعية، فيقول: "ونعني بالمعلمين هذه الطائفة المجاهدة في سبيل تعليم أبناء الأمة لغتهم، وتربيتهم على عقائد وقواعد دينهم، وطبعهم على آداب وأخلاقه، نعني هذه الطائفة الصابرة على مكاره الحياة كلّها، المحرومة من الراحة والاطمئنان في جميع أوقاتها"¹⁴، ودعا كذلك إلى إنزالهم المقام الذي يليق بهم فقال: "أما والله لو استطعت لأعطيت المعلم جمّا،... هذا نذير من النذر الأولى لرجالنا القائمين على المدارس، والحاملين معنا للعبء المادي، فعليهم أن يقدّروا قدره، ويفكروا في مغزاه، ويتعاونوا على إيجاد موارد جديدة ليتوفر لنا مال نرفع به مرتبات المعلمين، ونرفع به أقدار العلم والتعليم"¹⁵.

4- العملية التعليمية وعناصرها عند البشير الإبراهيمي:

لا يختلف اثنان على أنّ الإبراهيمي كان رائدا من رواد الإصلاح العام والإصلاح التعليمي على وجه الخصوص، ولقد قدم للأمة الجزائرية فرص التحرر من الاستعمار في الروح والعقل قبل التحرر منه في الوطن، ورأى أنّ لا شيء من هذا سيتحقق دون مدارس، فالمدرسة العربية وحدها قادرة على ربط الحياة بالمدرسة وعن ذلك

¹¹ - الإبراهيمي، الآثار، مقال "مدارس جمعية العلماء"، العدد 93 من جريدة البصائر، 31 أكتوبر 1949، ج 3، ص 258..

¹² - المصدر نفسه، مقال "التعليم العربي والحكومة" العدد 66 من جريدة البصائر 7 فيفري 1949م، ج 3، ص 220.

¹³ - المصدر نفسه، المقال نفسه، ص 221.

¹⁴ - المصدر نفسه، مقال "حقوق المعلمين الأحرار على الأمة" العدد 149 من جريدة البصائر 2 أبريل 1951م، ج 3، ص 277.

¹⁵ - المصدر نفسه، المقال نفسه، ج 3، ص 279-280.

يقول: "حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس... الحياة بالعلم، والمدرسة منبع العلم، ومشروع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة"¹⁶، ويرى الإبراهيمي أنّ التعليم هو السبيل الصحيح الذي يحفظ الجيل من الفساد، ويعرفه دينه ولغته وتاريخه، شرط أن يكون تعليماً متكاملًا في جميع مراحلها، وأن يُبنى على أسس صحيحة، وهذه الرؤية الإبراهيمية على تختلف كثيرا عن التعريف الحديث للتعليم، ومن بين تعاريف التعليم: "هو نشاط تواصلية يهدف إلى إثارة التعلّم وتحفيز وتسهيل حصوله، فهو مجموعة من الأفعال التواصلية والقرارات التي يتم اللجوء إليها بشكل قصدي منظم"¹⁷.

وأما التعلّم فقد حدده الإبراهيمي بأنه عملية قصدية، أو نشاط مقصود يقوم به طالب العلم بالممارسة والتفاعل مع ما يحيط به لاكتساب كل جديد ومفيد في حياته، وعن ذلك يقول: "يا أبناءنا إنّ الحياة قسمان: حياة علمية وحياة عملية، وإنّ الثانية منها تبنى على الأولى قوّة وضعفاً، وإنتاجاً وعمقاً، وإنّكم لا تكونون أقوياء في العمل إلا إذا كنتم أقوياء في العلم، ولا تكونون أقوياء في العلم إلا إذا انقطعتم له، ووقفتم عليه الوقت كلّه، إنّ العلم لا يعطي القيادة إلا لمن مهرة السّهادة، وصرف إليه أعنة الاجتهاد"¹⁸، والتعلم في الدراسات الحديثة هو تغيير شبه دائم في السلوك، أو هو القدرة على اكتساب مهارات جديدة وإدراك الأشياء، وهو النشاط الذي يمارسه الشخص والذي يؤثر في سلوكه مستقبلاً¹⁹.

لم يتوقف الإبراهيمي عند بيان أهمية العلم والتعليم، وبيان دور المدارس في نجاح المشروع الإصلاحية الشامل الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين، ودعا إليه في الكثير من خطابه في "عيون البصائر"، بل تعداها إلى تحديد عناصر العملية التعليمية، فهو يدرك أهمية هذه العناصر والتي بدونها يستحيل أن تتحقق العملية التعليمية، ومنه تتوقف عجلة التعليم، وتمثل عناصر العملية التعليمية في:

- المعلم

- المتعلّم أو الطالب

- المادة العلمية أو المحتوى

¹⁶ - المصدر السابق، مقال "مدارس جمعية العلماء"، العدد 93 من البصائر 31 أكتوبر 1949م، ج3، ص258.

¹⁷ - مُجّد الدريج، مدخل إلى علم التدريس، دار الكتاب الجامعي العين، دط، 2014، ص13.

- الإبراهيمي، الآثار، مقال "إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم، العدد 9 من جريدة البصائر 3 أكتوبر 1947، ج3، ص203.

¹⁹ - علي حسين حجاج، نظريات التعلّم، عالم المعرفة الكويت، دط، 1990م. ص12

1- المعلم: ويقصد الإبراهيمي بالمعلمين تلك "الطائفة المجاهدة في سبيل تعليم أبناء الأمة لغتهم، وتربيتهم على عقائد وقواعد دينهم، وطبعهم على قالب من آدابه وأخلاقه"²⁰، وقد حمل الإبراهيمي المعلمين أمانة النشء بتنوير حلقة عقولهم، وبناء شخصيتهم، وغسل نفوسهم من شوائب الثقافة الغربية المفروضة عليهم، فيقول: "أنتم حراس هذا الجيل الجديد، والمؤتمنون عليه، والقوامون على بنائه، وانتم بناء عقوله ونفوسه"²¹.

فالمعلم عند الإبراهيمي هو اللبنة الأساسية في العملية التعليمية وهو المحرك لها والقائد لسفينتها حتى ترسو على بر الأمان، وعن ذلك يقول: "هذه الطائفة هي العصب المدبر لهذه الحركة المباركة، فعليها-بحكم الأمانة والدين- واجبات تشرعها الجمعية بالنظام والقانون"²².

لقد اهتم الإبراهيمي بالمعلم اهتماما بالغا بعده الركيزة الأساسية في العملية التعليمية، وطالب بإعطائه المكانة المنوط به، والقدر المستحق، في مقابل قيامه بواجباته التي حددها في مقال كامل بعنوان "كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار"²³:

- غرس الدين وحقائقه في قلوبهم، وتعويد ألسنتهم على العربية ودقائقها.
- محاربة الإلحاد بغرس حقائق الإسلام في نفوس المتعلمين، وعدم الاستخفاف بالدين ولو بفلمات اللسان، ذلك لأنّ لكل فلتة ولكل كلمة تصدر منهم أثرا في نفوس التلاميذ.
- محاربة الانحلال الخلقي عن طريق تقوية العزائم والإرادات في المتعلمين، وتعويدهم على الوقوف في وجه الشهوات، وتحبيبهم في العمل.
- زرع الفضائل في نفوس المتعلمين، ومعرفة قيمة الأشياء لأنّ من لا يعرف قيمة الشيء أضاعه.
- تربية النشء على التحابب في الحق، والتآزر في الحق، والتعاون والصبر، والتسامح إلا في الكرامة.
- تربية النشء على استعمال مواهبهم الفطرية، وحسن التصور والإدراك، ودقة الملاحظة وعدم تجاوز الواقع.

- خلق جيل يمزج بين العلم والحياة، وجعل القواعد مجرد أسس للبناء، لا البناء كلّ.

²⁰ - الإبراهيمي، الآثار، مقال "مدارس جمعية العلماء"، العدد 93 من جريدة البصائر، 31 أكتوبر 1949م، ج 3، ص 261..

²¹ - المصدر نفسه، مقال "إلى أبنائنا المعلمين الأحرار 1"، العدد 94 من جريدة البصائر، 7 نوفمبر 1949م، ج 3، ص 263.

²² - المصدر نفسه، مقال "مدارس جمعية العلماء"، العدد 93 من جريدة البصائر، 31 أكتوبر 1949م، ج 3، ص 261.

²³ - المصدر نفسه، مقال "إلى أبنائنا المعلمين الأحرار 2"، العدد 94 من جريدة البصائر، 7 نوفمبر 1949م، ج 3، ص 268.

- جعل ماضي الأمة وتاريخها الإسلامي المشرق مثلاً يحتذى به في القوة والشجاعة، فمن لم يكن أكلاً كان مأكولاً.

واشترط الإبراهيمي في المعلمين جملة من الصفات التي يجب التمسك بها، ومن هذه الصفات:

- التحلي بالصبر على كل شدة، بقوله: "...الصابرون على عنت الزمان، وجحود الإنسان، وكلب السلطان، المقدمون على كثرة الخوان، وقلة الأعوان"²⁴.

- الإخلاص في العمل، وعدم التقصير في أدائه لأنّ التقصير في الواجب جريمة من الناس العاديين، وفي المعلمين هي جريمة مضاعفة، حيث يقول: "لأنّ المقصّر من غيرنا لا يعدم جابراً أو عاذراً... فإذا قصرنا في العمل لأنفسنا ولما ينفع أمتنا ويرفعها، فمن ذا يعمل لها"²⁵.

- أن يتحلى الأستاذ بمجموعة من الفضائل، تتطابق بها أقواله مع أفعاله، لأنّ "الناشئ الصغير مرهف الحس، طلعة إلى الدقائق التي تغفلون عنها، ولا ينالها اهتمامكم، وإنّه قوي الإدراك للمعانيب والكمالات، فإذا زينت له الصدق، فكونوا صادقين، وإن حسنتم له الصبر، فكونوا من الصابرين"²⁶.

- ضرورة التحلي بتقوى الله، لأنها مبعث القوة واللين أيضاً، حتى تثبت الأقدام في المزالق، وتتجنب القلوب الفتن.

- ضرورة البعد عن التحزب، لأنها سبب الفرقة، وهدر الطاقة.

- ضرورة الاستزادة من التحصيل كلما سنحت الفرصة لذلك، ويقصد به التكوين المستمر، لأن "التعليم لإحدى الطرق للمعلم قبل المتعلم... فاعرفوا كيف تدخلون من باب التعليم إلى باب العلم، ومن مدخل القراءة إلى الفهم، وتوسعوا في المطالعة يتسع الاطلاع"²⁷.

إنّ عناية الإبراهيمي بالمعلم، وما وضع فيه من شروط، ينطبق تماماً على ما تدعو إليه التعليمية التي أولته الأهمية البالغة، حيث يقول صالح بلعيد: "إن فنيات التدريس تعتمد في الدرجة الأولى على المعلم المؤهل تربوياً وعلمياً، والحامل للمواصفات التربوية والنفسية والاجتماعية والفعلية، والخبرة التي تقرر أن يكون مربياً، إضافة إلى

²⁴ - الإبراهيمي، الآثار، مقال "مدارس جمعية العلماء"، العدد 93 من جريدة البصائر، 31 أكتوبر 1949م، ج3، ص261.

²⁵ - المصدر نفسه، مقال "إلى أبنائنا المعلمين الأحرار 1"، العدد 94 من جريدة البصائر، 7 نوفمبر 1949م، ج3، ص263.

²⁶ - المصدر نفسه، المقال نفسه، ج3، ص264.

²⁷ - المصدر نفسه، مقال "كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين الأحرار 2"، العدد 132 من جريدة البصائر، 9 أكتوبر 1950م، ج3،

استعداده لممارسة التعليم وحبّه لها²⁸، ويواصل صالح بلعيد حديثه عن تكوين المعلم المستمر فيقول: "إضافة إلى التدريبات التي يجب أن يتلقاها باستمرار فالتدريب عملية تنمية مستمرة لمفاهيم المعلم ومهاراته الأدائية وتنمية لمعلوماته وقدراته"²⁹

2- المتعلّم / الطالب: إذا كان المعلم محرك العملية التعليمية عند البشير الإبراهيمي لأنّه الجسر الذي تمر من خلاله المعارف والمعلومات، فإن المتعلم أو الطالب هو العنصر المستهدف من العملية التعليمية وهو الطرف الثاني من الجسر، ذلك الوعاء الذي تصب فيه المعارف، ولذلك اهتم بهم الإبراهيمي لأنهم في نظره "مناطق آملنا، ومستودع أمانينا، نعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة، ولاستحقاق الإرث، وهو ذو تبعات، وذو تكاليف، وننتظر منكم ما ينتظره المدلج في الظلام من تباشير الصباح"³⁰، ويظهر اهتمام البشير الإبراهيمي بالمتعلم من خلال مقالات "عيون البصائر من خلال:

- الاهتمام بالمتعلمين في سن صغيرة، وهي المرحلة الابتدائية، والتي يعتبرها الإبراهيمي أول خط في طريق النهضات العلمية، وهو مفتاح العلم، وارتفاع عن الأمية، ونراه يقول: "دعونا الأمة - بعد تحققنا للقابلية فيها- إلى التعليم الابتدائي، لأنه الخط الذي تبتدئ به النهضات العلمية، فلبت لا وانية ولا عاجزة، وشادت له المدارس ما يفخر به الفخر، ويغص به الشانئ الساخر"³¹.

- تهيئة المتعلم للمراحل التعليمية الموالية، لأن التعليم الابتدائي وحده لا يكفي.

- الاهتمام بالمتعلمين المتشردين، وإعطائهم فرصة التعلم بعدما حرّموا من التعليم الفرنسي، حيث يقول: "إنّ مدارسنا عامرة بهذا الصنف من الأطفال، وهم الصنف المتشرد الضائع الذي لم يجد إلى التعليم الحكومي سبيلا، وإنّ عدده لكثير... وما داموا محرومين من التعليم الفرنسي فمن حقنا ومن واجبنا ومن الإحسان إلى أبنائنا أن نشغلهم النهار كلّ بتعلّم دينهم ولغتهم"³²

- الانقطاع للعلم، وإنفاق كل الوقت في تحصيله

²⁸ - صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار همة للطباعة والنشر الجزائر، دط، 2003م، ص72.

²⁹ - المرجع نفسه، الصفحة السابقة.

³⁰ - الإبراهيمي، الآثار، مقال "إلى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم"، العدد9 من جريدة البصائر، 3 أكتوبر 1947م، ج3، ص201.

³¹ - المصدر نفسه، مقال "معهد عبد الحميد بن باديس"، العدد90 من جريدة البصائر، 5 سبتمبر 1949م، ج3/ ص255.

³² - المصدر نفسه، مقال "التعليم العربي والحكومة4"، العدد68 من جريدة البصائر، 21 فيفري 1949م، ج3/ ص229.

- ضرورة أخذ العلم من أفواه الرجال وتكبد عناء السفر، كالأسلاف الذين كانوا يقطعون المسافات الطوال للقاء الرجال، لا يشتكون الجوع والعطش.

- ضرورة نقل الدروس وتقييدها بالنسخ من الأصول وضبطها حرفا بحرفا وكلمة بكلمة، وعدم الاعتماد على الطباعة التي يسرت، ولكن هذا التيسير أصاب العقول بالكسل، والأيدي بالشلل.

- نقل الجديد من العلم، والطريف من الآراء، والمفيد من الكتب.

- عدم الاكتفاء بالدروس المقدمة، ومحاولة تثبيتها بالذاكرة، فتنفتح بذلك أبواب العلم، وتلوح آفاق الفهم الواسعة.

- حسن استغلال أوقات الفراغ، وعدم تضييعها في الأزقة، أو بالجلوس في المقاهي، أو قراءة الجرائد، إلا بقدر استعادة النشاط، والبعد عن الملل، والاطلاع على الأحداث الكبرى.

- عدم الغقبال على حفظ المتون وحدها، بل تقويتها بكل ما من شأنه أن يقوي المادة اللغوية لديهم، وينمي تروثهم الفكرية، ويغذي ملكتهم البلاغية.

- تجنب المناقشات السياسية، وتركها لأهلها المنقطعين لها.

3- المادة العلمية/ المحتوى: اعتنى الإبراهيمي بالمادة العلمية كاعتنائه بالمعلم والمتعلم، فحاول مرارا

توضيح المحتوى التعليمي الذي يجب أن يتلقاه المتعلمون، :

- اللغة العربية أساس التعليم بقوله: "إنّ هذه الأمة تعتقد- وتموت على اعتقادها- أنّ لغتها جزء

من كيانها السياسي والديني، وشرط في بقائها"³³.

- حفظ القرآن: "والقرآن القرآن، تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتلاوة، وربوا ألسنتكم على الاستشهاد

به في اللغة والقواعد، وعلى الاستشهاد به في الدين والأخلاق، وعلى الاستظهار به في الجدل، وعلى

الاعتماد عليه في الاعتبار بسنن الله في الكون"³⁴.

- الاهتمام بمختلف العلوم الأخرى، بجانب اللغة العربية وحفظ وتفسير القرآن الكريم، ويذكر

الإبراهيمي هذه المواد عند حديثه عن معهد عبد الحميد بن باديس، فقال: "يعنى المعهد بالرياضيات

³³ - المصدر السابق، مقال "اختلاف ذهنين في معنى التعليم العربي"، العدد 152 من جريدة البصائر، 23 أبريل 1951، ج3،

ص284.

³⁴ - المصدر نفسه، مقال "إلى أبنائي الطلبة"، العدد 9 من جريدة البصائر، 3 أكتوبر 1947م، ج3/ ص204.

والطبيعيات، ويجعل منها ذريعة إلى مقاصد سامية، كان التلميذ العربي محروما منها، لأنّ المعاهد العربية خالبة منها، وقد قام المعهد في هذه السنة بتجربة موفقة بلغت الغاية من النجاح، وتطوع الأستاذ مُجَدّ الجيجلي من أساتذة التعليم الثانوي الفرنسي بإلقاء دروس في الجغرافيا، وتطوع الأستاذ بن عبد الرحمان بإلقاء دروس في الحساب "35".

- عدم الاكتفاء بالكتب المقررة، وإتّما يجب الاطلاع على الكتب الميسرة المبسطة لذلك العلم، حتى تستحكم الملكة، ويتسع الإدراك، والإكثار من المطالعة في المعارف العامة.

الخاتمة: لسنا ندّعي في هذا البحث أنّنا أتينا بجديد لم نُسبق إليه، ولكن حسبنا أننا تناولنا من خلاله

موضوع ، مقالات "عيون البصائر" للبشير الإبراهيمي، واستطعنا أن نصل إلى مجموعة من النتائج أهمها:
-اهتم الإبراهيمي في إطار مشروعه الإصلاح، داخل جمعية العلماء المسلمين بإصلاح المجتمع من خلال إصلاح المجال التعليمي على وجه الخصوص لما له من تأثير مباشر على بقية المجالات.

- امتلك البشير الإبراهيمي كلّ المؤهلات اللازمة لإنجاح مسار التعليم في الجزائر في فترة هي الأصعب في تاريخها وهي فترة الاستعمار الفرنسي، بفضل اتساع ثقافته الدينية وطول تجربته التعليمية، وسياسته الرشيدة، ما مكّنه من ضبط عناصر العملية التعليمية، تنظيرا وتطبيقا والإحاطة بكل تفاصيلها والتي حددها التعليميّة الحديثة.

- كلّ ما كتبه البشير الإبراهيمي من مقالات مرتبطة بمجال التعليم في كتابه "عيون البصائر" لم تكن مجرد آراء صادرة عن أحد رواد الإصلاح، بل هذه الآراء في حقيقتها هي نظرة جديدة في مجال التعليم، كانت سابقة لأوانها دعت إليها اللسانيات التطبيقية الحديثة، ما ينم عن معرفة دقيقة بالعملية التعليمية وعناصرها الأساسية، وكذا بعد نظره.

- لقد وفق الإبراهيمي في التمهيد للتعليمية بما وصلت إليه جهوده التعليمية، والتي أكدت سبق العرب إلى بعض الأفكار الجديدة قبل وصول العرب إليها

- مقالات الإبراهيمي كلها، ومقالات "عيون البصائر" على وجه الخصوص ذُكر لوامع في بحر الإبداع الجزائري.

³⁵ - المصدر السابق، مقال "معهد عبد الحميد بن باديس" العدد90 من جريدة البصائر، 5 سبتمبر 1949م، ج3، ص256-

المصادر والمراجع:

- 1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثامن، 1830-1954م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.
- 2- سعيد بورنان، رواد الكفاح والإصلاح 1900-1954، دار الأمل، الجزائر، ط3، 1936هـ-2015م.
- 3- صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار همة للطباعة والنشر الجزائر، دط، 2003م.
- 4- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1400هـ-1980.
- 5- علي حسين حجاج، نظريات التعلم، عالم المعرفة الكويت، دط، 1990م.
- 6- مُجَدّ البشير الإبراهيمي، آثار الإمام مُجَدّ البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي تونس، ط3، 2015م.
- 7- مُجَدّ الدريج، مدخل إلى علم التدريس، دار الكتاب الجامعي العين، دط، 2014م.
- 8- مُجَدّ رزيق، الجرائم الفرنسية، دار قرطبة للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 1435هـ-2014م.